



الذكرى الـ 29 للاحتلال العراقي للغاشم

أكد في دراسة بعنوان "واقع الكتب والمكتبات أثناء أزمة الكويت 1990" أن الكويت دولة صاحبة رصيد تراثي مخطوط

الجحمة: الاحتلال العراقي للكويت عهد من الإرهاب امتد 6 أشهر دمر 100 ألف جندي خلاله بنيتها التحتية الثقافية والاقتصادية

إعداد: شافعي سلامة

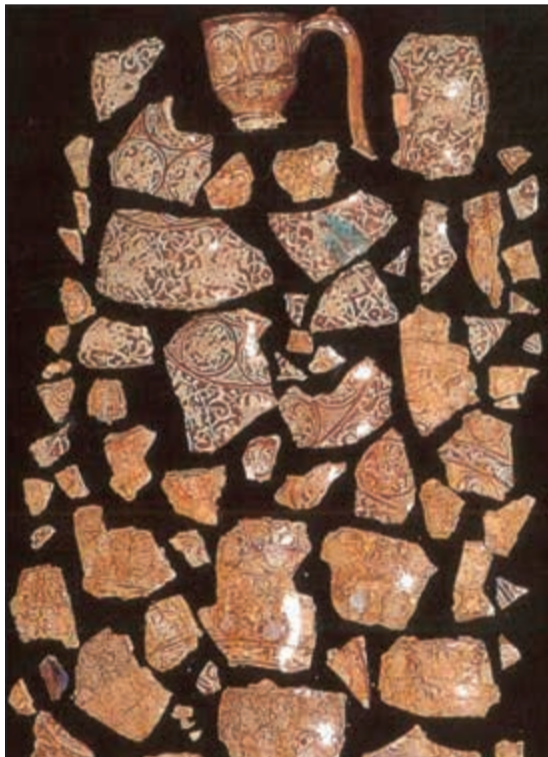
نشر د. نواف عبدالعزيز الجحمة أستاذ مشارك، كلية التربية الأساسية بالهيئة العامة للتعليم التطبيقي دراسة بعنوان "واقع الكتب والمكتبات أثناء أزمة الكويت 1990"، والتي تدور في محورها حول الآثار التي تركها الاحتلال العراقي للغاشم على الكويت. وباستعراض محاور وأهم ما تطرقت إليه الدراسة، فقد أشار د. الجحمة إلى أهمية المخطوطات التي تشغل مكانة مميزة لكونها جزءاً من الذاكرة الجماعية ومنتوجاً حضارياً للأمة، الأمر الذي يوجب حمايتها ودراستها ونقلها إلى الأجيال القادمة لتمثل استراتيجية في مجال كتابة التاريخ العلمي والثقافي، حيث يعد تراثنا المخطوط أضخم تراث عرفته البشرية. وأشارت الدراسة إلى أن الغزوات الخارجية، والفن الداخلية التي أصابت الدول العربية قد أحدثت جرحاً غائراً في جسد تراثنا المخطوط، حيث ما زالت آثارها واضحة للعيان حتى الآن، فقد مزق هذا التراث شر ممزق، وأتلف منه ما أتلف، وسرق منه ما سرق، وما تبقى منه في الخزائن والمكتبات إلى الآن هو في كثير من الأحيان أشلاء متناثرة، وهذا يلقي على الخزائن والمكتبات مسؤولية كبيرة في الحفاظ وصيانة وفهرسة ما لديها من أصول هذا التراث فهرة علمية دقيقة تعرف به وتيسر استخدام الباحثين له.



د. نواف عبدالعزيز الجحمة

العراقيون نعموا على الكويت تطورها فدمروا بجنون منشأتها
فدسوا برج الساعة في قصر السيف بأسلحة مضادة للدبابات
الجيش العراقي المنسحب نسف معهد الأبحاث العلمية
بالديناميت ودباباته أطلقت قذائفها على واجهته فدمرته

للممتلكات الثقافية في أوروبا والبوسنة والصين والتبت، وحتى تاريخ كتابة هذه السطور لم تركز الأدبيات التي تناولت العدوان وأعاصف الصحراء (الحملة الدولية) إلا على الأحداث العسكرية والسياسية أولاً، غير أن الآثار الاجتماعية والثقافية للاحتلال بما في ذلك تدمير البنية التحتية للكويت لا تزال حقلًا واعدًا للبحث. من أجل ذلك، ترى الكاتبة ربيكا «أن حملات إبادة الكتب ليست مجرد جرائم عشوائية يرتكبها برابرة وظالمون، بل وسيلة من وسائل شن الحرب تتسم بانها عمدية ومنهجية، توظف العنف لحرمان جماعة ما من حقوقها لخدمة أيديولوجية منطوقة، كما ترى أن محارق الكتب في القرن العشرين مرآة للمعارك بين الأيديولوجيات المتطرفة والزعة الإنسية الديموقراطية».



حطام زهرية من الخزف المطلي بالبريق المعدي استعادتها دار الآثار في هذه الحالة

وإستندت الدراسة إلى تقرير ج. بيلون الذي يشير في وصفه لمعهد الأبحاث العلمية، وتقييم «اليونسكو» لمكانته إلى أنه يعتبر واحداً من بين اثنتي عشرة مؤسست أبحاث علمية في قمة مؤسسات البحث العلمي في الشرق الأوسط. ويمضي التقرير فيصف الدمار الذي لحق بالمعهد «إذا أطلقت عليه الدبابات العراقية قذائفها فدمرت واجهته، وأتلفت مداخل جناحي المبني وما بداخلهما، وأشعلت النيران في مساحة تبلغ 2000 متر مربع فانت على كل ما فيها، وقد تكلف بناء هذين الجناحين 60 مليون دولار، ويذكر التقرير أن الخسارة الأكبر تتمثل في «هيئة الباحثين» الذين تم اختيارهم من صفوف المتخصصين من جميع أنحاء العالم والذين سيضطر الكثير منهم للبحث عن وظيفة في مكان آخر. كما يشير التقرير إلى الأضرار التي لحقت بالمركز الوطني للمعلومات العلمية (نستك) الذي يضمه المعهد ومكتبته التي تمثل معلومات علمية ظلت تنمو وتتوسع على مدى أكثر من عشرين عاماً، ولن يمكن إحلالها إلا جزئياً، وهذا الأمر سوف يستغرق عدة سنوات».

عنصرنا يمكن إدراكه عقلياً، وهو أن العراقيين نعموا في الكويت بنيتها التحتية الثرية والحديثة، فكان التدمير الجنوني للبنية التحتية مثل المباني العامة والمحطات الكهربائية والمياه والمتاحف والمكتبات، فعلى سبيل المثال: استخدمت أسلحة مضادة للدبابات لنسف برج الساعة في قصر السيف، ثم أضرمت النيران في المكتبة المغطاة بالواح خشبية والمباني الأنيقة ذات الطابع المغربي الأندلسي. كما أن التدمير الذي أحدثه حشد النظام العراقي ورجبته في الهيمية يستدعي إلى الذاكرة وسائل شن الحرب التوسعية المماثلة لجرائم النازيين والصرب والمأويين



مجموعة الصباح في طريق عودتها إلى الكويت أكتوبر 1991



خطاب موجه من عدي صدام إلى المدعو على الحسن يوضح رغبته في الاستيلاء على مطبعة النادي العلمي ونقلها إلى مقر اللجنة الألفية العراقية لطباعة جريدتها

وقالت الدراسة إنه من الحزن أن الذين أشرفوا على عمليات التدمير للمؤسسات العلمية والثقافية كانوا يحملون القاب العلم ودرجاته، وهذا الأمر توضحه وثيقة تقرير مقدم من العميد العراقي الذي عين للإشراف على كلية العلوم الكويتية.

وكارثة ثقافية، ويشير إلى أن الخبراء والتقنيين انفقوا في أثناء السنوات الثلاثين الساعات لبناء هذه النظم وتطويرها، كما نهبت «مكتبة الكويت المركزية»، وكانت مستودعا لمنشورات حكومية ووطنية غرضها حفظ الإرث الوطني، أما «معهد الكويت للأبحاث العلمية» فقد نسفه الجيش العراقي المنسحب بالديناميت، وذلك بعد سلب المقتنيات ونهبها.

وأكدت الدراسة أنه رغم شدة عمليات النهب كانت مربحة، فإنها كانت تتضمن الكمبيوتر والمكتبات والمعلومات

النظام هجماتها ضد الاقتصاد بإضرار النيران في حقول البترول، وضرب قواعدها الثقافية والفكرية، فعندما وصل مدير المتاحف ببغداد إلى الكويت، أجرى مسحاً لجموعة محتويات (متحف الكويت الوطني)، وشحن الآثار التي تثير اهتماماً خاصاً إلى العراق، ثم أحرق مجمع المتحف بكامله، وشملت الخسائر كتباً في الفن، ومخطوطات في مكتبة كانت موضع تقدير بالغ من الباحثين (مركز المخطوطات والتراث والوثائق نموذجاً)، وأحرقت القوات النظامية القبة السماوية والمعالم الجاورة، ودمرت آثاراً عديدة من الثقافة العربية القديمة في هذا العدوان.



فريق إعادة مجموعة الصباح من العراق

التي ضمت 24410 مراجع و540955 مجلداً وتقريراً ورسالة ومواد سمعية وبصرية وميكرو فيلم ودورية. والواقع أن القوات الغازية حطمت البنية المادية للجامعة بكاملها، إذ استخدمت الفصول الدراسية فكانت للجنود، ونهب منها أي شيء يمكن نقله إلى العراق، وشحنت كتباً ومواد المكتبات إلى بغداد. وأخفت مكاتب أقسام وملفات بكاملها، وفقد باحثون سواد بحثية لا يمكن تعويضها، ومكتبات شخصية. وعندما رسخت قوات التحالف سيادة الكويت، وفرضت الأمم المتحدة عقوبات على العراق، سارعت «عمليات التدمير»، فقد واصلت قوات

وفقاً لأحد التقديرات، فقد ضاع أكثر من مليون كتاب أطفال وكتاب تعليمي، بدءاً من تفكيك المكتبات العامة ونهبها، وهي العملية التي فقد فيها 133199 مجلداً، أو نحو 45٪ من محتوياتها، كانت حملة منهجية ومخططة لها سلفاً.

إبادة الكتب والمحو وسرابة الأصل ولغقت الدراسة إلى انه في أثناء عهد الإرهاب الذي امتد لـ 6 أشهر تحت هيمنة 100 ألف جندي عراقي دُمرت البنية التحتية الاقتصادية والثقافية للكويت، ما ترك البلاد مجرد هيكل متداع، وقد استهدف الاحتلال الكويتيين أفراداً وجماعات، حيث دُمرت ممتلكاتهم الشخصية، وآثارهم الثقافية ومؤسساتهم، ولم يكن في الحياة الكويتية أي ملمح صغير أو كبير إلا طالته يد الحملة العراقية، وكانت المؤسسات الثقافية والتعليمية - بما فيها المكتبات ومراكز المعلومات - الأكثر تضرراً جراء الاحتلال. واستخدمت المدارس مراكز قيادة ومستودعات ذخيرة، ودمر نحو 43٪ من مخزون الكتب في المكتبات المدرسية.



مجموعة الصباح تمت معاينة كل قطعة فيها معاينة شاملة قبل إعادتها

أهم ما تم الاستيلاء عليه ونقله من مشتملات المركز الوطني للمعلومات

أيضا لقد فقدت الكويت قطاعاً معلوماتياً كان يدعم 4 آلاف شخص، وكان هناك 45 مركز كمبيوتر حكومي، ومئات المراكز الأصغر حجماً، وآلاف من أجهزة الكمبيوتر التي كانت تشكل استثماراً مالياً في أجهزة الكمبيوتر في فترة ما قبل الحرب، قدر بما يزيد على 115 مليون دولار.

1- مجموعات ومصادر المعلومات والكتب 55000 والوريات 1400 وتقارير فنية 350000 وبراءات اختراع 1,5 مليون.
2- قواعد المعلومات المحلية بلغ عدد التسجيلات بها 49047 كتاباً باللغة الإنجليزية، 5953 كتاباً باللغة العربية.

اهتمام المنظمات الدولية برصد آثار العدوان العراقي

فيما يتعلق بحجم الخسائر التي لحقت بالمؤسسات العلمية والثقافية ومراكز البحوث، وقد حرر هذا التقرير ج. بيلون عضو وفد هيئة الأمم المتحدة لحصر الأضرار التي لحقت بالمؤسسات العلمية والثقافية ومؤسسات البحث بالكويت من جراء العدوان العراقي الواقع عليها.

أشارت الدراسة إلى اهتمام المنظمات الدولية (هيئة الأمم المتحدة، اليونسكو، المنظمات العربية والإسلامية) برصد آثار العدوان العراقي على الكويت، وحصر الأضرار التي لحقت بالبنية الحضارية والمؤسسات العلمية والثقافية، وفيما يلي مقتطفات من هذه التقارير التي أعدتها البعثات التي أوفدها بعض هذه المنظمات



مقال «اليمان هي بين يدي صدام»، في صحيفة ذا إنديبندنت أون صندي، بتاريخ 16 ديسمبر 1990